

أحمد الصّافي النجفي

# حَصْنُ السَّجْنِ

وهو ثمار سجن الناظم مدة ثلاثة واربعين يوماً في ادارة  
الأمن العام الافرنسية ببيروت بأمر السلطات  
الانكليزية سنة ١٩٤١ عند دخولها لبنان



دَارُ الْكَشَافِ لِلنَّشْرِ وَالطَّبَاعَةِ وَالتَّوْزِيعِ

PJ  
7862  
.A46  
H37  
1951

أحمد الصّافي النجفي

# حصن السجن

وهو ثمار سجن الناظم مدة ثلاثة واربعين يوماً في ادارة  
الأمن العام الافرنسية ببيروت بأمر السلطات  
الانكليزية سنة ١٩٤١ عند دخولها لبنان

١٩٥١

دار النشر  
للطباعة والنشر  
بيروت - لبنان



# آثار المؤلف

•

المطبوع

ديوان الأمواج

» اشعة ملونة

» الأغوار

» التيار

» الحان اللهب

» هواجس

» رباعيات الخيام

» هزل وجد - نثر

---

المعدة للطبع

ديوان اللفحات

» الشرر

لله

•

الى كل سجين ومرشح للسجن

في

سبيل الحرية والواجب

احمد الصافي النجفي

## مقدمة

بقلم الأديب الكبير الأستاذ رُئيف فوري

وهي دراسة تحليلية عن شعر السجون عند  
شعراء العرب ثم عن ديوان « حصاد السجن »

❶

لئن اسجن فما الاقفاص الا      لئيت الغاب ، او للعندليب  
ألا يا بلبلاً سجنوك ظلاماً      فنحت لفرقة الغصن الرطيب  
وباليت الشرى سجنوك مثلي      لدن خافوا وثوبك أو وثوبي !

الصفاني

فاذا لم أحترق أنا

ولم تحترق أنت

ولم يحترق هو

فكيف يخرج من هذه الظلمات نور ؟

ناظم حكمت

( سجين اتني عشر عاماً )



« حصاد السجين » ...

عهدنا بالحصاد يكون حباً فاذا هو هنا أزاهير وثمار من  
صور وافكار وعواطف نبئت ونضجت بين جدران اربعة موحشة  
في هضبات وصروح من نفس الشاعر ، فضمها ودفعها الينامرتبة  
على هذه الاوزان والقوافي وفيها من غذاء الذوق وقوة الروح ما  
يكون في الحب من طعام الأبدان .

وليس بغريب ان يكون السجين وجدرانه الحائكة حقلاً  
« يحصد » فيه الشاعر مثل هذا الحصاد المعنوي المبارك . فقديمًا  
كانت السجون مهداً ، لولادة الروائع تتمخض بها النفوس الشاعرة .  
وأي مجال احق من هذا المجال بان نستعرض فيه ولو مسرعين  
بعض تلك الروائع التي كان من حظها قديمًا في تاريخ الادب العربي  
أن تبصر النور في دياجير السجون ...

#### عدي بن زيد العبادي

والعل اول شاعر عربي في قافلة السجناء ممن ذكرهم تاريخ  
الادب : عدي بن زيد . كان تميمياً نصرانياً من اهل الحيرة ،  
ولذلك عرف بالعبادي<sup>١</sup> توفي في الجاهلية حوالي السنة ٥٩٠ م ،  
قبل الهجرة بنحو خمسة وثلاثين عاماً . وكان من جلة العلماء  
ورجال السياسة والفروسية في عصره ، اتقن الفارسية مع العربية  
وبرع في ركوب الخيل والرمي بالنشاب واللعب بالصوالة ،  
وتولى المناصب الرفيعة في بلاط الاكاسرة في المدائن ثم في بلاط

---

(١) العباديون : لفظ اطلق على نصارى الحيرة .



المناذرة في الحيرة. فكتب بالعربية في ديوان كسرى انوشروان  
ثم في ديوان ابنه هرمز ، حتى استوزره الملك النعمان وزوجه ابنته  
هنداً ، ولكن الوشايات والدسائس ، أوغرت عليه صدر الملك  
فاعتقله وحبسه في « الصّنين »<sup>١</sup> ثم قتله قتلة وحشية . وقد  
نظم عديّ خير شعره في هذه المدة بين دخوله السجن ومصرعه .  
وشعره كله شكوى موجعة يرفعها الى النعمان ، وتذكير له بما  
خدمه فاخلص في خدمته ، وتأكيده لبراءته بما نسب اليه . ويجيد  
عديّ في هذه الاغراض كلها ، فيقول من قصيدة بائية :

ألا من مبلغ النعمان عني	وقد تموى النصيحة بالمغيب
أحظي كأن سلسلة وقيدا	وغلا ، والبيان لدى الطيب
أتاك بأنني قد طال حبسي	ولم تسأم بمسجون حريب
وبيتي مقفر الأرجاء فيه	أرا مل قد هلكن من النحيب
فإن أظلم فقد عاقبتموني	وإن أظلم فذلك من نصبي !

ويقول واصفاً زيارة امه له في السجن ومحرضاً أهله على إنقاذه :

ولقد ساءني زيارة ذي قربى حبيب لودنا مشتاق  
ساء ما بنا تبين في الأيدي وإشفاقها الى الاعناق  
فاذهبي يا اميم غير بعيد لا يؤاتي العناق من في الوثاق

(١) من الاماكن القريبة الى الحيرة ، ولا يزال تلامر تفعلاً قائماً الى الآن  
بالقرب من الحيرة ويسمى الصنين .

وهذا الصنين هو الذي يقول فيه الشاعر الجاهلي وهو يتمنى تزهة مترفة من  
العهد القديم حيث يقول :

ليت شعري متى تحب بي النا	—	قة بين السدير فالصنين
محقباً ركوة وخبز رقاق		وبقولا وقطعة من نوت



واذهبي يا أميم ان يشأ الله ينقّس من ازم هذا الخناق  
او تكن وجهة فتلك سبيل الناس ، لا تمنع الختوف الرواق !  
يا ابا مسهر فابلغ رسولا اخوتي ان أتيت صحن العراق  
ابلغن عامراً وابلغ اخاه انني موثق شديد وثاقي  
في حديد مضاعف وغلول وثياب منضحات خلاق  
فاركبوا في الحزام فكوا اخاكم ان غيراً قد جهزت لانطلاق  
ولكن أجود ما نرى عند عدي من شعر نظمه في السجن ذاك  
الذي يخلص فيه الى استعراض عز الملوك وجبروتهم وكيف  
انقرضوا على قلب الزمن وأحداثه ، فيقول :  
ابن كسرى الملوك ، كسرى انو شروان ، أم ابن قبله سابور  
وبنو الأصفر الكرام ملوك الروم لم يبق منهم مذكور  
الى قوله :

ثم صاروا كأنهم ورق جف فألوت به الصبا والدبور  
وفي هذا البيت الأخير صورة رائعة لتمثيل فناء الاشياء .  
وربما بلغ حظ هذه الصورة من الحياة ان يوشك قارئ البيت أن  
يشهد بام عينيه ويسمع باذنه ، من خلال اللفظ ، كيف يطاير هذا  
« الورق الذي جف » وكيف ينخس في مهب الرياح .  
ومع ذلك فان شعر عدي يغلب عليه الانكسار والاستسلام ،  
وتعوزه روح التجدي والعناد للاضطهاد .

#### الخطبة

فاذا اقبلنا على عصر الراشدين لقينا في قافلة الشعراء الذين



سجنوا ، ونظموا في السجن ، شاعراً محبوب الشخصية على علامتها ،  
هو الخطيئة ... اعتقله الفاروق عمر بن الخطاب وأردعه السجن  
عقوبة له على ما نهش بلسانه من اعراض بعض القوم طمعاً في  
كسب العطاء . فانشد الخطيئة لهذه المناسبة ابياتاً رقيقة ذكر  
فيها بنياته ، وما يقاسين من حرمان وهوان ، واستعطف الخليفة  
حتى رحمه وأطلقه . وهذه ابيات الخطيئة :

ماذا تقول لا فراخ بندي مرخ زغب الحواصل لا ماء ولا شجر  
أهلي فداؤك كم ببني وبينهم من عرض داوية يعمر بها الخبز  
القيت كاسبهم في قعر مظلمة فاعفر عليك سلام الله يا عمر !  
وما كان مثل هذا الشعر العذب ليقطر من نفس الخطيئة لولا  
بنياته ولولا أن منعه السجن عنهم !

### يزيد بن مفرغ

والكننا حين ندخل العصر الاموي نظفر من شعر السجون بما  
هو حقاً أوفر مادة وانفس معنى من كل هذا الذي سبق لنا أن  
حظينا به . ولنكتف بشاعر واحد يعد من الفحول في هذا  
الباب ، نقصد يزيد بن مفرغ . وللقارئ ان يستغرب هذا الاسم  
وله أن يعجب كيف عددناه من فحول شعراء السجون . غير ان  
القارئ لن يلبث حتى يقتنع بصواب رأينا فيه . فان الجمول الذي  
احاط ، من بعد ، باسم يزيد بن مفرغ إنما كان لسخط الاوساط  
الحاكمة عليه . وان فقدان شعره الا بقية مذرذرة في بطون  
الكتب ، اشبه باخشاب السفينة المحطمة - إنما كان كذلك نتيجة



لهذا السخط الرسمي الذي صرف عنه الرواة خشية الحاكمين أو  
مسايرة لهم .

كان يزيد بن مفرغ ، هذا ، حميرياً من عرب اليمن ، اتصل  
بواحد من أبناء زياد بن أبيه اسمه عبّاد . ووُلِّيَ عباد اقليم سجستان  
فصحبه الشاعر الى موضع عمله . ولكن الجو سرعان ما فسد بين  
الرجلين ، فعبّاد وال ، وشقيقه عبيد الله وال هو الآخر يتصرف  
بشؤون العراق ، ومرتبة زياد بن أبيه وابناء زياد معروفة في الدولة  
الأموية بعد ان سبق لمعاوية ان اعترف بزياد أخاً له . وما كان  
يزيد بن مفرغ ليروضى من عبّاد ان يستطيل عليه أو يهمله . فهجّاه  
وسخر من لحيته وكانت عظيمة جداً كأنها جوالق ، دخلتها الريح  
يوماً فنفضتها فقال فيها ابن مفرغ :

ألا ليت اللهى كانت حشيشاً      فنعلفها خيول المسلمين !  
فلما سمع عبّاد بالهجاء أضمر له الشر ، وحرّك على الشاعر قوماً  
لهم عليه دين فرفعوا عليه الدعوى ، فحبسه عبّاد حتى يدفع الدين .  
واذا بالشاعر يضطر أن يبيع فرسه وسلاحه وأثاثه وغلاماً وجارية  
كان يهواها . واشترى عباد الغلام والجارية . وأمر بتوزيع مال  
الشاعر على دائنيه . ثم أطلق الشاعر ليعود من حيث أتى خاوي  
الوفاض بادي الأنفاض . فانطلق ابن مفرغ الى العراق ثم الى  
الشام يتنقل في المدن ويرسل الاشعار في هجاء زياد واولاده .  
وتحدث الناس كثيراً بهذا الهجاء ، وبلغ مسامع عبيد الله بن زياد  
في البصرة ، فبث عيونہ واعوانه في طلب الشاعر . ولم يكن يزيد  
يجعل ما ينتظره اذا وقع في قبضة عبيد الله . فأقام هارباً ما وسعه



الهرب . ثم سعى في ان يستجبر بهذا او ذاك من وجوه زمانه ،  
وكلهم يخشى ان يجيره على عبيد الله ، حتى لقي آخر الأمر رجلاً  
يقال له المنذر العبدى كانت بنته زوجة لعبيد الله . على ان عبيد الله  
لم يكرم عمه فكبس داره ، وأخرج الشاعر فعذبته بألوان العذاب  
وشهره باقبح ضروب التشهير . قرنه بهرة وخنزيرة وأطافه في  
الأسواق ومن حوله الصبية يعبثون به ، وسجنه مدة وأشبع  
السياط وأطعم حديد القيد من لحمه وكسر اسنانه ، ثم اعاده الى  
أخيه عباد في سجستان . وبما يحكى أن الشاعر كان قد كتب  
بالفحم على جدران بعض الخانات التي مر بها في طريق عودته إلى  
سجستان اشعاراً من هجوه في زياد واولاده ، فأمره من كان يخفوه  
من شرطة عبيد الله ان يحكمها بإظافره فجحها حتى برت وتهرأت  
إطراف انامله وبضت دماً . فاستعظمت اليانية هذا الانتقام البشع ،  
ورفعوا الأمر الى معاوية في الشام . فاستقدم يزيد بن مفرغ وعنفه  
ثم خلى له سبيله وخيره في المقام فاخترار ارض الموصل وبها كانت  
وفاته سنة ٦٩ هـ ( ٦٨٨ م ) .

أما شعره في السجن فلم نعتز منه الا على قصيدة لامية نظمها  
وهو في سجن البصرة لدى عبيد الله بن زياد . وهي قصيدة قوية في  
معناها تشف عما أوتي هذا الشاعر المتمرد من قوة النفس وتحدي  
الاضطهاد . تساءل في مطلعها : كيف نوم الأسير في قيوده ، ثم  
ذكر جاريته التي حيل بينه وبينها ، وفرسه وسلاحه ، فتألم  
للذكرى ، وثار به إباؤه فنفى أن يكون اتى امرأ دنيئاً ، ثم  
أسرع الى مخاطبة الوالى عبيد الله فعيره كيف نكل به ذلك

التنكيل القبيح ، وأنذره بأن آثار ذلك التنكيل كله عَرَض  
يزول بينما يخلد الشعر الذي هجاه به وترسخ وصمته في ذكراه ابد  
الدهر . ولعمري إنه من اروع المعاني التي خاطب بها شاعر سلطاناً  
ظالماً . قال يزيد بن مفرغ :

دار سلمى بالحُب ذِي الاطلال	كيف نوم الاسير في الاغلال؟
اين مني السلام من بعد ناي؟	فارجعي لي تحيتي وسؤالي
اين مني نجائي وجيادي	وغزالي؟ سقى الاله غزالي!
اين؟ لا اَين ، جنتي وسلاحي	ومطايا سيرتها لارنحالي
لا وصومي لربنا وزكاتي	وصلاتي ادعوبها وابتهالي
ما أتيت الغداة امرأ دنياً	ولدى الله كابر الاعمال
أيها المالك المرهب بالقتل	بلغت النكال كل النكال
فاخش ناراً تشوي الوجوه ويوماً	يقذف الناس بالدواهي الثقال
قد تعديت في القصاص وأدركت ذحولاً لمعشر ا قتال	
وكسرت السن الصحيحة مني	لا تذلني فمنكر اذلال
وقرنتم مع الخنازير هراً	ويميني مغلوله وشمالي
وأطلتم مع العقوبة سجنأ	فكم السجن؟ او مني إرسالي؟
يغسل الماء ما صنعت وقولي	راسخ منك في العظام البوالي

\*\*\*

ليت أتى كنت الحليف للخم	وجذام وطبيء الاجيال
بدلاً من عصابة من قريش	أسلموني للخصم عند النضال
خذلوني وهم لذاك دعوني	ليس حامي الذمار بالخذال
ويبدو من الثلاثة الابيات الاخيرة ان الشاعر اقدم على هجو	



زياد واولاده بايعازٍ وتأيدٍ من قريش . ولكن قريشاً تخلت عنه  
عندما ظفر به الوالي وحبّ عليه عذابه .  
فهذه هي قصيدة ابن مفرّغ . مثال نادر من شعر السجون في  
الادب العربي القديم لانها تشق نغمةً جديدةً غير نغمة الانكسار  
والاستعطاف وتعزية النفس بان كل شيء زائل وكل سرور صائر  
الى نكد وبلاء .

### عبد الله الطالبي

وفي الفترة بين انهيار الامويين واستتباب الامر للعباسيين يمرّ  
شاعر عربي في قافلة شعراء السجون ما ينبغي لنا ان ننساه ، ذلك  
هو عبدالله الطالبي من أحفاد جعفر الطيار شقيق الامام عليّ ...  
لم يكن عبدالله هذا رجلاً احتف الشعر وانما كان فارساً زعيماً  
ظهر بالكوفة فخلع طاعة الامويين ، فقاتله هؤلاء حتى ألجأوه الى  
بلاد فارس حيث استقل بالسيادة امداً من الدهر وجي له الخراج  
وهو بمدينة اصطخر . ولكن ابن هبيرة ، والي الامويين على العراق ،  
جرّد عليه حملة اكرهته على الارتداد الى مدينة هراة . فلما انقرضت  
دولة الامويين امر ابو مسلم الخراساني بأخذه وقتله لانه ابي  
الانصياع للعباسيين ... وأكبر الظن ان هذه الابيات القليلة ،  
التي انحدرت اليها عن عبدالله الطالبي في السجن فانتشرت في الآفاق  
وخلدت شهرتها على الاجيال انما قالها وهو سجين في هراة بأمر من  
ابي مسلم قبل ان قر الرأي على قتله . ومن هنا كانت هذه الابيات  
تشتمل على لوعة ووحشة قلّ ان عرفناهما في شعر السجون لدى

العرب . فقد ينبغي لنا أن نذكر أن أبا مسلم الخراساني كان حرباً  
على هؤلاء الأمويين الذين جرّد عبد الله سيفه لحربهم . وقد ينبغي  
لنا أن نذكر أن دعوة الشيعة ودعوة العباسيين كانت يومذاك  
واحدة على الأمويين . فاذا توقع عبد الله الطالبي سجنًا واضطهاداً  
لشورته على بني أمية فهو من غير أبي مسلم يتوقع هذا السجن  
والاضطهاد . ولذلك غلبت على أبيات عبد الله تلك اللوعة والوحشة ،  
وتلك الكتابة العميقة التي لا تدري من تناسد بعد أن لقيت الشر  
من تنتظر منهم الخير فهي إذاً تناسد المروءة والانسانية إطلاقاً :  
الا أحد يا أوي لأهل محلة

مقيمين في الدنيا وقد فارقوا الدنيا  
وهذه أبيات عبد الله الطالبي بكل ما يتأمل فيها من حزن  
محرق وينساق معها من معنى غريب :

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها	فلسنا من الأحياء فيها ولا الموتى
إذا دخل السجن يوماً حاجة	عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا
ونفرح بالرؤيا ، فجلّ حديثنا	إذا نحن أصبحنا الحديث عن الرؤيا
فإن حسنت لم تأت عجلي وأبطأت	وإن قبحت لم تحتبس وأنت عجلي
طوى دوننا الأخبار سجن منع	له حارس تهذا العيون ولا يهدا
قبرنا ولم ندفن ونحن بمعزل	

عن الناس لا نخشى فننغشى ولا نغشى

الا أحد يا أوي لأهل محلة

مقيمين في الدنيا وقد فارقوا الدنيا  
والقاريء في غنى عن أن ندله على مكان أسرار الجمال في هذا



القصيد ، وعلى عمقه في تمثيل نفسية أولئك السجناء الذين طغى عليهم  
صقيع من القنوط صرع كل أثر للرجاء ، في صدورهم . فقوله :  
« عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا » وقوله : « ونفرح بالرؤيا الخ ... »  
رائع حقاً تختلف له أغوار الضمائر .

ولكننا نكرر أن هذا القصيد اذا توفر فيه الالم والاغراب  
في المعاني فقد فاته حظه من التحذي والتمرد على النحو الذي  
وجدناه في شعر يزيد بن مفرغ ، وعلى النحو الذي نجده في شعر  
شاعر عباسي ننتقل اليه الساعة هو علي بن الجهم .

### علي بن الجهم

وكان ابن الجهم هذا عربياً من اهل بغداد عاصر أبا تمام  
وتصافيا الود . وفيه يقول أبو تمام أبيانه المشهورة في رثائه :  
أعلي يا ابن الجهم انك دفت لي سماً وجماً في الزلال البارد  
لا تهلكن ابدأ ولا تبعد فما اخلاقك الحضر الربى بأبعاد  
ان يختلف ماء الوصال فماؤنا عذب تحدر من غمام واحد  
او يختلف نسب يؤلف بيننا أدب أقمناه مقام الوالد  
وبرغم رقة ابن الجهم والدمائة التي تظهر على غزله ، فلقد كان  
مرّ النفس صعب الشكيمة عظيم الشجاعة . فلم يكن في طبعه ان  
يتحمل ضغط السلطان ولا ادلاله . ف وقعت النفرة بينه وبين الخليفة  
المتوكل فحبسه . ولقي ابن الجهم مصرعه في معركة عند حلب نشبت  
بينه وبين بعض الاعراب حين تعرضوا للقافلة التي كان مسافراً فيها  
سنة ٨٦٣ م ( منتصف القرن الثالث للهجرة . )

وهي قصيدة رائعة تلك التي سبكها ابن الجهم يوم حبسه المتوكل  
تزخر أبياتها بقوة من عزيمة الشاعر وتشمخ بعلو من شمم روحه .  
وفيهما مثال من اسلوب المناقشة التي شاع في الشعر بشيوع الفلسفة  
في ذلك العصر مع تعمق في الفكر يبلغ بالشاعر ان يلمس العلاقة  
بين الازداد في الوجود وكيف ينقلب الضد الى ضد ويتولد ضد  
من ضد .

لا ينسحق ابن الجهم تحت وطأة هذا السجن الذي حاصره  
بجدران غمه وظلمته . لا ، ولا يسترحم ولا ييأس . ذلك ما تمنعه  
منه نفسه الابيَّة . ولكنه يجبه الذين عيروه بالحبس فيقول لهم :  
اذا حبست فهل رأيتم سيفاً لا يغمد؟ وهل رأيتم اسداً لا يأوي الى  
عرينه كبراً بينما تسرح اوباش الحيوانات على الابواب لكسب  
القوت ؟ ثم يزداد الشاعر تعمقاً فيتهدي بثاقب فكره الى منافع  
للسجن وظلمته ومنافع للعذاب ومحنته . فهذا الحجر الصلد الذي  
تكمن فيه النار لا تنقذ منه ناره الا بالحك العنيف وهذا البدر  
لولا انه ينحجب لما تجدد وعاد بهياً مشرقاً . وهذه الرماح لولا انها  
تحمى بالنيران وتطرق لما استقامت ولما أرفف سنانها . وهذا  
العيش أحوال فمن نعيم ومن شقاء ، ولربما كان شقاؤه سبيلاً الى  
نعيمه . فلا سبب لليأس ما زال مع اليوم غد . ولا داعي للخجل  
والشعور بالمعرة ما دمت لم تحبس لدناءة ارتكبتها .

وعلى هذا النحو يمضي ابن الجهم حتى يخلص الى مخاطبة المتوكل  
وقاضيه احمد بن ابي دؤاد . فلا يبخل عليهما بكلمة مدح . ولكنه الى  
ذلك يعاتبهما عتاباً فيه تأنيب وتوبيخ ، ويطالبهما بالانصاف مطالبة



من يعلم ان له حقاً . فيقول للمتوكل : ما دمت ابن عم النبي محمد  
فأنت اولى باتباع شرعته فلا تقبل بظلم الناس . ويقول لابن ابي  
دؤاد : كيف قضيت علينا بشهادة من حضر ونحن غائبون ، ولو  
اننا حضرنا لظهرنا لك الطريق الاقوم . وفي كل هذا معاتبة كما  
قلنا بل تأنيب وتوبيخ . وفيه مطالبة بالانصاف يحبر بها من يعلم  
أن له حقاً يتقوى به على هذا الافحام .

وهذه قصيدة ابن الجهم :

قالوا حبست ، فقلت ليس بضائري	حبسي وأي مهند لا يغمد ؟
أو ما رأيت الليث يألف غيله	كبراً واوباش السباع تردّد
والنار في أحجارها مخبوءة	لا تصطلي ما لم تثرها الازند
والبدريدركه السرار فتنجلي	أيامه وكأنه يتجدد
والزاغية لا يقيم كعوبها	الا الثقاف وجذوة تتوقد
لا يؤيسنك من تفرّج كربة	خطب اناك به الزمان الانكد
فلكل حال معقب ولربما	أجلى لك المكروه عما تحمد
صبراً فان اليوم يعقبه غد	ويد الخلافة لا تطاولها يد
والحبس ما لم تغشه لدنية	شنعاء نعم المنزل المتورّد
بيت يجدد للكريم كرامة	ويزار فيه ولا يزور ويحمد !
ابلغ امير المؤمنين ودونه	خوف العدا ومخاوف لا تنفد
انتم بنو عم النبي محمد	اولى بما شرع النبي محمد
يا أحمد بن ابي دؤاد انما	تدعى لكل كريمة يا احمد
أن الذين سعوا اليك بباطل	اعداء نعمتك التي لا تجحد
شهدوا وغبننا عنهم فتحكموا	فينا ، وليس كغائب من يشهد

لو يجمع الخصماء عندك منزل يوماً لبان لك الطريق الإرشاد!  
وقد عارض هذه القصيدة شاعر يقال له عاصم بن محمد الكاتب  
حين حبسه ابن أبي دلف العجلي القائد العباسي الشهير ، فلم يصنع  
في معارضتها شيئاً ، وإنما ذكر بلاء السجن ونكد العيش فيه  
وفرغ الى استجداء الصفح والمغفرة بما لا يخرج عن المعاني التقليدية  
المتداولة .

وهنا ، فلنشأت ان ابن الجهم انما بلغ بقصيدته ذروة المنهج  
الذي اختطه يزيد بن مفرغ في شعر السجن في الادب القديم ،  
كما بلغ عبدالله الطالبي ذروة المنهج الآخر الذي اختطه عدي بن  
زيد العبادي . ويفتقر المنهجان في ان أحدهما يقابل السجن  
والعسف بروح متمردة متحدية ، بينما يقابله المنهج الآخر بروح  
منكسرة تلتصق بالرفق والرضى .

### ابن المعتز

ولابن المعتز ايضاً - وهو من العباسيين - شعر في السجن  
يستحق أن ننوه به ، قال :  
مرت بنا سحراً طير فقلت لها : طوباك ، يا ليتني اياك طوباك !  
وما كان ابن المعتز يرغب في الخلافة ولكن انصاره حملوه على  
قبولها بعد خلع المقتدر ، غير انه ما كاد يُبَايعُ خليفة حتى وجد  
نفسه سجيناً ، ثم قتيلاً ، فغنى شوقه اللاعج الى الحرية بهذه المناجاة  
المؤلمة للصورة السانحة في الفضاء ...

## ابو الطيب المتنبي

واذا ذكر الشعراء الذين قمرسوا بالسجن ونظموا فيه فما ينبغي  
لنا أن ننسى في القافلة أبا الطيب المتنبي . على أنه لم يعرف السجن  
حقيقةً بجدرانها القاتمة وقيوده الثقيلة الا في الدور الاول من حياته  
وعودُهُ لم يصلُ بعد ، وعبقريته لم تتفجر ولم تصخب صخبها  
الاوقيانوسي ... 'سجن أبو الطيب على يدي لؤلؤ الاخشيدي والي  
حمص ، ويقال انه كان قد ذاق السجن من قبل بالكوفة . لكن  
مهما يكن من شيء فإننا نجد أبا الطيب مقبلاً على سجنه بنفسه الذاهبة  
شموخاً في السماء . وكان له سجنان ، رجل يدعى أبا دلف يبدو انه  
لطف بابي الطيب إبان حبسه لانه لقيه بالامس وصادقه . فنظم فيه  
ابو الطيب هذه الابيات :

أهون بطول الثواء والتلف      والسجن والقيد يا أبا دلف  
غير اختيار قبلت برك بي      والجوع يرضي الاسود بالجيف  
كن ايها السجن كيف شئت فقد      وطنت للموت نفس معترف  
لو كان سكتائي فيك منقصة      لم يكن الدر ساكن الهدف !

ولقد يبحث المرء طويلاً عن شعر يصور هذه المأساة المفجعة التي  
تكره النفوس الكبيرة في اوقات المحنة ، ان ترضى ما لا ترضاه  
في العادة ، فلا يجد ما يشبه قول ابي الطيب : « والجوع يرضي  
الاسود بالجيف » . ثم قد يبحث المرء طويلاً عن شعر يمثل التحدي  
للاضطهاد فلا يجد ما يضارع هذا الخطاب الذي فاه به ابو الطيب  
بصفة الامر ووجهه الى السجن تعالياً واستخفافاً اذ قال : « كن



أيها السجن كيف شئت !... وأما اعتذاره لنفسه بأن السجن ليس منقصة لها « ما دام الدر ساكن الصدف » فانه غاية الغاية في الروعة .

غير ان ابا الطيب في هذا الدور المبكر من حياته 'قيل ان يجب عليه سجود الصلاة ، كما يقول ، ما لبث ان ضاق ذرعاً بالسجن وبابه الموصد وما لبث ان يرم صدره بهذا القيد الذي يعضه في رجله وهذا الهزال الذي يستبد بجسمه الناحل ، فشكا ذلك كله الى الوالي واستعطفه بكلام نسبته الى نفس ابي الطيب كنسبة مواء القطط الى زئير الاسود :

أما لك رقي ومن شأنه - هبات اللجين وعتق العبيد  
دعوتك عند انقطاع الرجاء - والموت مني كجبل الوريد  
دعوتك لما براني البلاء - وأوهن رجلي ثقل الحديد  
وقد كان مشيهما في النعال - فقد صار مشيهما في القيود  
تعجل في وجوب الحدود - وحدتي قبل وجوب السجود !  
لكن ابا الطيب ان لم يتمرس بالسجن حقيقة الا في هذا الدور من حياته ، فهزأ اول الامر بالقيد والسجّان وتحدى الاضطهاد ثم لانت قناته وتحطم عنفوانه ، فانه قد امتحن فيما بعد - وهو نزيل مصر - بضرب من الاعتقال شر من الحبس الحقيقي حين ضبطه كافور لا يأذن له بالرحيل ولا يلبي رغائبه . وفي هذه المرة لم يتحطم عنفوان أبي الطيب ولا لانت قناته بل انشد في فترة هذا الاعتقال المعنوي قصائد ما رد بمثلها شاعر ، ولا حرض بمثلها شاعر في الادب العربي القديم على حاكم اساء اليه .

نامت نواطير مصر عن ثعالبها      وقد بشمن وما تفنى العناقيد  
ما كنت أحسبني أحيا الى زمن      يسيء بي فيه عبد وهو محمود  
جوعان يأكل من زادي ويمسكني      لكي يقال عظيم القدر مقصود

### ابو فراس الحمداني

يبقى شاعر واحد من شعرائنا القدامى اورث في موضوع  
السجن قصائد كتب لها حظها في الخلود فما يسوغ لنا ان نغفله .  
هو ذلك الامير الفارس ابو فراس الحمداني . الا ان شأنه يختلف  
عن بقية شعراء السجن في سالف الادب العربي . فان ابا فراس  
لم يسجنه خليفته او ملكه او واليه ، بل وقع اسير حرب لدولة  
أجنبية هي الدولة البيزنطية وذلك في منتصف القرن الرابع للهجرة .  
وفي مدة من اسره ، الذي طال نحواً من سبع سنوات ، سجنه  
البيزنطيون وأخشنوا معاملته . وإشارة الى ذلك يقول معاتباً  
ابن عمه :

يا واسع الدار كيف توسعها      ونحن في صخرة نزلها  
ولست هذه « الصخرة التي يزلها » ابو فراس واصحابه الا  
الاشغال الشاقة التي فرضت عليهم او القلعة التي حبسوا فيها ، قلعة  
خرشنة او القسطنطينية نفسها .

أسر ابو فراس ووراءه ام عجوز في منبج حضنته يتيماً وفرغت  
له همها وقلبها فعَلِقَها بما لم يعلق ولداً له . واسر ابو فراس وهو  
يستमित في القتال تحت لواء الدولة الحمدانية واميرها سيف الدولة  
ابن عمه . فكان اقل ما ينتظره ان يسرع ابن عمه في بذل الفداء  
له كيما يعود الفارس الى امه والى رفاقه في الجيش والى اخوانه في

بجالس الادب فيستمع بالحياة - وهو ما برح فتي يهوى متع  
الحياة - ويواصل سيرته في الحرب وهو القائد الشجاع .

سوى ان ابن عمه أبطأ وماطل في بذل هذا الفداء ، لم يصغ  
الى شفاعاة الاخوان ولا رحم ضراعة الام . ولأمر ما فعل سيف  
الدولة ما فعل . فهل قصرت يده حقاً عن جمع المال لدفعه ، ام  
رضي بتنحية أبي فراس على هذا النحو لئلا يزاحم على الامارة ابن  
سيف الدولة وولي عهده ابا المعالي ؟ لسنا ندري . ولكننا ندري  
ان ابا فراس احس جرحاً بمضتاً يتفتح في دخيلة نفسه لهذا الاهمال  
والتقصير من جانب ابن عمه . واشتاق امه العجوز اشتياقاً محرقاً  
وحن الى اخوانه وملاعب صباه ومسارح شبابه حنيناً لا عجباً مثيراً  
فارسل القصيدة تلو القصيدة الى ابن عمه يشرح له سوء حاله في  
الاسر ويعاتبه عتاب صاحب الدالة وصاحب الخلق عليه . وارسل  
القصيدة تلو القصيدة يدعو فيها امه الى الصبر والاعتصام بالايان ،  
او يذكر به اخوانه الباعدين والبعد جفاء .

ولعل ابلغ قصيدة صور فيها ابو فراس شقاءه وشقاء اصحابه  
في الاسر ، وبلغ بها الغاية في قوة العتاب ، لاميته التي مطلعها :  
يا حسرة ما أكاد أحملها      آخرها مزعج وأولها  
ومنها في عتاب سيف الدولة ولومه على الحياة الرافهة التي  
يحياها بينما يشقى ابن عمه واصحابه في اسرهم لدى العدو :

يا ناعم الثوب كيف تبدله ؟      ثيابنا الصوف ما تبدل لها !  
يا راكب الخيل لو بصرت بنا      نحمل اقيادنا وننقلها !  
رأيت في الضراوئجها كرمتم      فارق فيها الجمال أجملها



قد أثر الدهر في محاسنها تعرفها تارة وتجهلها  
وله قصيدة - او مقطوعة من زوائج الشعر الغنائي - يباهي بها  
الجمامة وقد سمعها من وراء جدران سجنه تهمل هديلها الشجي الكئيب  
برغم أن لها ملء الفضاء حرية ومدى انطلاق. قال من هذه المقطوعة :  
ايضحك مأسور وتبكي طليقة ويسكت محزون ويندب سال  
لقد كنت أولى منك بالدمع مقلة ولكن دمعني في الحوادث غال  
وهكذا يبدو ان ابا فراس في هذا الشعر الذي ارسله من  
الاسر إنما دار على المعاني التي تنقر أوتار القلب وتثير الشجن  
وتناجي شعور الشفقة . ومع ذلك فله التماعات خرج فيها على هذا  
فتناول ابن عمه بالتوبيخ الشديد لاهماله حقه وحق صاحبه ممن وقعوا  
في الاسر . فلنقرأ مثلاً قوله :

انت سماء ونحن انجمها انت بلاد ونحن اجبلها  
انت سحاب ونحن وابله انت يمين ونحن اغلها  
واننا لنجد في هذه المعاني من نفخ الرجولة وقوة المحاسبة ، مالا  
نجد في سائر شعر ابي فراس . فمن عسى ان يكون سيف الدولة  
او غيره من الحكام اذا هو فرط في حقوق رجاله وتخلي عما يجب  
لهم عليه ؟ ومثل هذا المعنى كان ينبغي لابي فراس ان يكثر منه  
وان يتوسع فيه خلال رومياته او قصائده التي نظمها في اسره  
وسجنه لدى البيزنطيين .

مقدمة في شعر السجونه في الادب العربي القديم

وهنا فلنمسك عند ابي فراس في هذا الملح السريع الذي

استعرضنا به قافلة من شعراء السجون وشعرهم في ادبنا القديم .  
ولنبث هنية قبل النقلة الى الديوان الذي قصد بالذات من كتابة  
هذه المقدمة ، ريثما نجمل تلك الاتجاهات التي اخذ بها شعراؤنا  
القدامى ، مع ما اشتملت عليه تلك الصفات والاتجاهات من نقص  
وابداع ( أو بما نعتبره نقصاً وابداعاً . )

فستخلص أول شيء ان أولئك الشعراء الذين قرسوا بالسجون  
وقالوا فيها الشعر معبرين عن خوالج النفس وسوانح الفكر مما  
يعرض في هذا الجو وراء قضبان الحديد وفي سلاسل القيود ، قد  
وقفوا موقفين وانقسموا فريقين :

فمنهم من وصف فنون اليأس والوان العذاب التي يعانيتها  
السجين ، وتنصل من كل ذنب وتبرأ من كل شبهة ، واقسم الايمان  
المغلظة ، وطلب الرحمة من حاكم يسجنه وحاكم يستطيع انقاذه  
من السجن ، وشفع ذلك كله بروح سوداوية متشائمة منسجمة مثلها  
له عبت الاشياء ومصيرها الى الفناء .

ومنهم ( من هؤلاء الشعراء ) من تحدى السجن والاضطهاد  
واثبت ان البلاء يحك الرجال وان الشدائد جلاء لجواهر اخلاقهم  
النفيسة ، وحاسب الحكام الذين دفعوا به الى الحبس محاسبة عسيرة  
وهددهم بدمغة العار التي تلحق ذكرهم من جراء هذا الشعر الذي  
يهجوهم به ويقص سيوتهم في الظلم والاستبداد . وهؤلاء الشعراء  
احب اليانا . وشعرهم في مذهبنا ابداع واروع . لانه يفور من  
معين هذا الغضب الانساني الشريف على الجور والطغيان .  
وهنا ينبغي لنا الاعتراف بان شعراءنا الذين انتهجوا هذه



الطريق في شعر السجون هم اقل عدداً .

وثمة نقص يبدو على شعراءنا القدامى ممن نظموا في السجون .  
فهؤلاء جميعاً ، حتى حين يشددون في محاسبة الحكام وفي إنذارهم  
لهم ، لا تراهم يصدرون عن الشعور بان اضطهادهم جزء من اضطهاد  
شعب أو أمة ، ثم لا تراهم يستنصرون هذا الشعب على ولائه  
المتعسفين . وقد يشذ المتنبي عن هذه القاعدة في فترة اعتقاله المعنوي  
في مصر . فانه ليخاطب المصريين وانه ليتوخي ثورتهم على كافور ،  
ولكنه يتوسل الى غايته بأسلوب عجيب اذ يلسمهم بسياط التفرع  
والتحقير فيقنطهم من الخير في انفسهم بدل ان يحيي فيهم الايمان  
بقدرتهم على التحرر وخلع نير « العبد » .

وثمة ايضاً نقص هو ان شعراء السجون ممن وصفوا فيها انعدام  
النور وثقل القيود والعفونة والرطوبة وشدة التنكيل لم يخطر لهم  
ببال ان السجون ما ينبغي لها ان تكون للانتقام ، حتى من  
المجرمين ، ولكنها لاصلاحهم . فالسجين حتى المجرم الذي يزج به  
في محبس وقاية للمجتمع من خطره انما يحق له ان يعامل المعاملة التي  
تصلح من امره وترده الى المجتمع رجلاً نافعاً . على ان هذا المعنى  
- والحق يقال - اقرب الى ان يعقله المصريون من ان يعقله  
الاقدمون . ولعل اول من اثار هذا المعنى - ولو من بعد - هو  
الشاعر معروف الرصافي في قصيدته « سجن بغداد » فانه لا يدافع  
فيها عن سجين بالذات ولكن عن قضية السجناء جميعاً ؛ يصور  
تصويراً واقعياً ما يغمر هذا السجن من ظلام وكثافة حر وروائح  
نتنة ، ويعد ذلك من الظلم الاجتماعي المنشب برائته في الامة .

ويعجبني من هذه القصيدة الممتعة قول الرصافي :

زر السجن في بغداد زورة راحم      لتشهد للانكاد أفجع مشهد  
هناك يود المرء لو قاء نفسه      واطلقها من أسر عيش منكدر  
مقابر بالاحياء غصت لحودها      بخمس مئين أنفُسٍ او بأزيد  
وقد عميت منها النوافذ والكوى      فلم تكتحل من ضوء شمس بمرود !

- ٢ -

ثم ماذا ، بعد هذا الذي « حصدناه » خلال العصور من شعر  
السجون في الآداب العربية ، الا ان ننتهي الى هذا الحصاد الذي  
جمعه شاعر واحد ، معاصر ، خلال ثلاثة واربعين يوماً تمرس فيها  
بآفات السجن - وكدت اقول بوحى السجن .

كان ذلك عام ١٩٤١ والحرب قائمة على قدم وساق بين الحلفاء  
والمحور . واذا بي اسمع ان صديقي أحمد الصافي النجفي قد اعتقل  
- اعتقلته السلطات الحليفة التي دخلت سوريا ولبنان بعد عهد  
الفرنسيين « الفيشيين » .

فاما التهمة الرسمية التي كانت بها اعتقاله فإنها شبهة النازية .  
وأذكر ان ذلك آلمني جداً لانني كنت ولن أبرح عدواً للنازية  
في اي الصور تمثلت أو أحدثت . وبرغم أني لا استطيع تأكيداً  
انني كنت ، او انني انا اليوم ، على وفاق تام مع صديقي الصافي  
في الرأي السياسي والمذهب الاجتماعي والمفهوم بالقومية والوطنية ،  
فان ما خبرته من الصافي خلقاً واحساساً وتفكيراً وشعراً يخولني  
ان أشهد بان معدنه النفسي أبعد شيء عن معدن النازية . ولكن  
سلوك بعض الدول الديمقراطية ، طوال الفترة بين الحربين



العالميتين : الاولى والثانية ، جعل عسيراً على كثير من الوطنيين ان يبصروا النازية على حقيقتها نكسة استعمارية وحشية تنزل باهل الارض جملة وبالخضارة عامة وبالشعوب المستضعفة خاصة ؛ نكسة استعمارية وحشية كتب عليها التاريخ الفناء كما كتبه على كل استعمار . فاذا سمعت الشاعر ينشد اذن في ديوانه مثل هذا الشعر :

واشرفت من سجنى على البحر قائلاً

من البحر يأتينا الخلاص او « البحري »

ورأيت يعلق على ذلك بان « الاستاذ يونس البحري كان ينعش آمال القوميين العرب باذاعاته من برلين » فلا يغرنك هذا الدليل الشكلي على « نازية الصافي » ولا تخل انك لمست لمس اليد « الحقيقة التي تثبت الجرم » ، بل فتعمق الى ما وراء الشكل والعن سلوكاً ديموقراطياً مزعوماً كان من رد فعله مثل هذا الشعر وهذا المعنى . بل فتقدم في هذا الديوان - أو الدويون الذي يحلو لي تصغيره حباً واستلطافاً - تجد الشاعر وقد اشتدت وطأة الحرب في الجولة الاولى على المستعمرين العريقين فلوحوا بالحرية للشعوب المستضعفة ، ومنها نحن ، كيف يروعه هذا النفاق نفاق الاستعمار العجوز في أزمتة فينشد :

منحونا حرية حين مدت      نحو أعناقهم يد الجزائر  
فتدرك ان النازية لم تخرج في ضمير الشاعر عن ان تكون  
جزاراً . ولكنه يقرع المستعمرين العريقين لانه لا يرى في تلويجهم بالحرية - وهم في مثل هذا المأزق وعلى شفا ذلك الجرف - الا ضرباً من الكرم في « حالة الاحتضار » ؛ ثم لا يرى في استنصارهم

الشعوب التي استعمروها واستغلوها الانوعاً من « فرصة موت »  
يتيحونها لتلك الشعوب اذ يستدرجونها الى الحرب .  
والفرق بعيد بين هذا كله وبين النازية .

يبقى ان هذا الحصاد الذي حصده صديقي الصافي من سجنه  
شهرآ وثلاثة عشر يوماً هو حقاً اغزر مجموعة بما نظم شاعر عربي  
في السجن وأنفس مجموعة ، سعة معنى و غرابة خواطر وصور .  
روى الصافي في هذا الشعر قصة نفسه وما عرض في هذه  
الايام الثلاثة والاربعين التي قضاها بين الجدران الموحشة روايةً  
واقعية تتشخ فيها الحقائق بسر بال الخيال ويمكن تقسيمها على  
قصرها - ثلاثة فصول : يدور أولها على السبب الاصيل لدخول  
الشاعر السجن ( وهنا يدرك الشاعر ان مشكلته من مشكلة قومته ) ،  
ويتعلق ثاني فصولها بحياته في السجن ثم بسجنه في المستشفى بعد  
مرضه ؛ وأما ثالثها فأبيات ارسلمها في وذاع السجن .

وفي خلال ذلك كله تنتشر عبقرية الشاعر لتلم بكل شيء مما  
يعاني حوله أو مما يتمرس به في جسمه ونفسه أو مما يتصل بدواعي  
نزوله هذه الغيابات . فيصف غرفته الواطئة السقف التي « تحب  
في الضيف القصر » ويفتخر بسجنه اذ « يقضي فيه حق اقوامه »  
ويعمل على تكسير اصنام المستعمرين ويصف زملاءه في هذا القبر  
ثم مرضه ونقله الى المستشفى وذلك الشرطي الذي نصب حارساً  
عليه « كأنه اعلان على بابه » ، ويصور ثقل هذا الليل الذي يهبط  
عليه مرهقاً موحشاً بين الجدران الاربعة ، المنضمة عليه كطوق  
الحصار .

وانه لمن الدعوى الخائبة ان نحاول سكب الجمال الذي تفيض  
به خواطر هذا الديوان وصوره في سطور من نثر . فالشعر اذا  
فك نظامه سقط موضع التعجب منه كما يشهد استاذنا الجاحظ .  
بل لا يغني استشهادنا ببعض ابياته منها لطف وراعت فان الایماضة  
الخاطفة لا تقوم مقام التأمل العميق والامتلاء الطويل . ولكن  
وجد لنا العذر من قال : ما لا يدرك كله لا يترك جله . فنحن  
دالون إذاً على خصائص المتعة واسرار الفتنة في هذا الديوان ،  
ورأسها تلك الروح الفكاهة ، التي تشع في اجزائه فتبدد من وحشة  
الجو الذي يصوره الشاعر .

لا اعني ان عنصر الالم مفقود في هذا الشعر فانه ينفج المأويلفح  
غضباً لظلامه الشاعر وظلامه قومه واستبداد المستعمرين . على ان  
الصافي مسح على ذلك كله بالفكاهة والسخرية ، ولن نجد كالفكاهة  
والسخرية علامة من علام عافية الروح وتحمدي الاضطهاد والجور .  
اصغ الى الشاعر يشرح لك حكاية هذه المفارقات التي يصح ان  
نسميها « مفاوضات الدول الاربع » في سبيل الافراج عنه :

فرنسا لفكي فلم تسطع	حكومة لبنان قد راجعت
تراجعهم ، جلّ من مرجع	وراحت فرنسا الى الانكليز
وللبوم بالامر لم يصدع	وقد راجع الانكليز العراق
ويا ايها الخلق قولوا معي	فقلت : اعجبوا ايها السامعون ،
خطيراً على دول اربع ؟	امن قوتي صرت ام ضعفهم
فهذا من اوجع السخر الذي انطوى على الجد ، وناهيك	
بالاستفهام التهمي الذي يقبل مفاجئاً في خاتمة الابيات !	



ثم اسمع قوله :

ومونا كالبضائع في سجون وعافونا ولم يبدوا اكتراثا  
ومونا في السجون بلا اثاث فاصبحنا لسجنهم أثاثا !  
وهذا ايضاً من بديع التخيل الفكه الذي يأخذ الظالمين بقمقه  
موجعة لتكديسهم البشر في سجونهم كأنهم اثاث لها لا لحم ودم  
يحس ويعقل .

وبعجبني من فكاهة الشاعر وسخريته قوله :

حسبت لطول السجن اني في قبر

فان يخرجوني منه آمنت بالحشر

فهذا الايمان بالحشر لهذه المناسبة ظريف حقاً ، واطرف ما  
فيه انه يسوقه على سبيل « اغراء » من سجنوه بان يطلقوا سراحه ،  
وهكذا تراه يعبت بهم هذا العبث الرائع .

والمتعة الثانية التي أنت واجدها في هذا الديوان دقة الوصف  
وغرابة التخيل . خذ مثلاً قصيدته « غرفة ام صندوق » ، وتأمل  
ذلك التصوير الباهر للغرفة الضيقة وسقفها المابط . ثم تأمل ذلك  
التصوير « للشنّة » بعد ما بث فيها حياة من حياته فهي تنطق ...  
تسأله متى السفر ؟ وهي تشكو له كربتها وتبكي .

وناهيك بقوله :

تبكي بعين حالها ودمعها قد استتر

كادت من الغبار ان تفقد عينها البصر !

ثم خذ مثلاً آخر على دقة الوصف وغرابة التخيل وروعته  
قصيدة « الواح وأشباح » أو « ملحمة السجن » كما سماها أو

« معلقة السجون » كما أسميها . والواقع انك اذ تبلغ هذه المعلقة فقد حطت الرحل عند أبداع تحف الديوان وعند أروع تمثيل وابلغ مناجاة جادت بهما عبقرية شاعر عربي لليل في السجن ، وللسجن في الليل ! وغبن ان اجتزى لك من هذه القصيدة البيت والبيتين فان من حقها ان تقرأ كاملة ، ثم تعاد قراءتها مرة ومرة ليتها هذا الجو الصحيح من عمق التجارب بينك وبينها ؛ هذا الجو الذي يستحيل من دونه ان ينصف القارئ شعراً او شاعراً . وبعد ... فكثيرة هي المتع والفتن التي أنت واجدها في هذا الديوان : متع معنوية وفتن عبارية ، وهنا اوصيك ان لا تغرك البساطة في اكثر نظم هذا الديوان فان من البساطة ما يكون هو السهل الممتنع وهو السحر المحير . والصافي اشعر شعراً من ان يزيف نظمه لدى عينيك بالزخرف كما يزيف الخرز البراق بدعوى انه الجوهر . يقول الصافي :

ألبست أشعاري لباسي ساذجاً كي لا اخادع باللباس الرائي  
لم استطع سبق الوري بزخارف فسبقتهم ببساطتي الحسناء !  
ما أصدق قول الصافي في نفسه !

ولقد سبق لي اول اطلاعي على هذا الديوان ان قلت لشاعره :  
« هذا شعر ان فاتني شرف نظمه فلن يفوتني شرف نشره ! »  
فاذا بي الآن وقد اكرهتني ظروف القاهرة على التنازل عن شرف نشره ، ارى حسي ان اقف بعتبة هذا الديوان آخذ بأيدي رائديه الى داخل عتبة الهبكل وأبقى عندها . ويقيني ان رائديه سيقبلون على الديوان كثيراً وسيوافقوني على قولي انه أغزر مجموعة من

شعر السجون لشاعر واحد في الادب العربي قديمه وحديثه ، بل  
أنفس مجموعة شعرية في هذا الموضوع تشارك شعراء العرب في  
افضل معانيهم في هذا الباب ثم تبذهم على الجملة سعة واغراباً وعمقاً .  
فانك لو اجد في هذا الديوان قبساً من قوة النفس ووميضاً  
من تحدي الاضطهاد وعزفاً حمساً حاراً في تمجيد التضحية على  
مذبح الحرية ، ولن تجد ذلك كله مجتمعاً لك عند شاعر واحد  
من شعراء السجون في ادبنا قديمه وحديثه .

ولكنك - وهنا لابد من التنويه بهذا النقص - لا تزال  
تحس الشاعر فرداً ليس إلا ، وان هو ادرك ان مشكلته من  
مشكلة قومه . تحسه فرداً يألم ، وفرداً يغضب ، وفرداً يسخر ،  
وفرداً يعبت ، وقل ان تتراءى لك من أمامه او ورائه ، او عن  
جانبه أخيلة من شعب تتحرك ...

فالصافي ما برح في هذا الشعر تغلب عليه الغنائية الفردية .  
على ان لهذه الغنائية الفردية روعتها ومنفعتها ايضاً . فalcوت  
الروحي الذي يغذي فرداً ليتقوى به على مجابهة الظلم جدير كذلك  
بان يغذي شعباً .

فالى جنود الحرية في مشارق الناطقين بالضاد ، الى اولئك  
الذين طالتهم او تطوهم أيدي الظلم والاستعمار بالسجن  
والاضطهاد ، اني أقدم هذا الديوان لما يستطيعون أن يستمدوا  
منه من عافية وقوة .

رئيف خوري



## تكسير الأصنام!

اهلاً بسجني لشهر او لأعوام      فانما يوم سجني تاج ايامي  
قضيت حراً، حقوق النفس كاملة      واليوم في السجن اقضي حق اقوامي  
ان يسجنوني فجرمي يا له شرفاً      أني احارب قوماً اهل إجرام  
محمد كسر الأصنام شائخة      من لي بتكسير «لوردات» كأصنام  
يكفيهم حطة أن ليس يتبعهم      منا سوى كل منحط وغمام  
يا دولة يتساوى في نذالته      جنديها القدم في مندوبها السامي

## غرفة السجن



سجنوني في غرفة قد تعرّت  
فكأنني سجنّت وسط القفار  
جاءلاً من ترابهم الي فراشاً  
وغطاء يلفّني من غبار  
ثم زادوا على الغبار غطاءً  
من نسيج مضضع منهمار  
فاذا نمت يكتسي منه وجهي  
بغريب الأصواف والأوبار  
فتراني في الصبح امضغ شعراً  
وتراباً برغم حلقي سار  
فكأنني اكلت نصف فراشي  
وكأنني شربت نصف دثاري  
وكأنني والصوف كال وجهي  
نوع وحشٍ ما مر بالافكار

Hamad Khalifa

## طاب المرض !



ضاق بيّ السجين فقلت هل مرض      ينقذني من شر سجين قد أمض  
لا غرو ان يهوّ السجين مرضا      فمن رأى الموت حلا له المرض

## لقد توفقت !



سجنت وقد مرّت ثلاثون حجة      من العمر فيها للسجين تشوقت  
سعى دعبل للسجين طول حياته      فيخاب ، وفي المسعى لسجني توفقت

---

(١) اشارة الى كلمة دعبل المشهورة . لقد مرت علي اربعون سنة وانا احمل  
خشيتي فلا اجد من يصليني عليها .



## قبر في الجو !



سجنوني في غرفة قد تعالت      واطلت على فسيح الفضاء  
هي سجن وان تعالت فسجني      قفص لي معلق في الهواء  
قبري السجن حار، والقبر قبر      حفروه في الارض او في السماء

## وداع الحرية !



من كوة السجن ألقى      نفسي بدون ثواب  
أودع العيش حراً      ولو لبضع ثواب

## المشكلة العظمى !

قال الناظم هذه القطعة عندما اشتد عليه المرض في السجن وكان الانكليز يعلمونه كل يوم بانهم ابرقوا الى حكومة العراق يسألونها رأيها فيه وقد مرت عليه سبعة وعشرون يوماً وهو يستغيث من الداء وهم لا يسمحون بنقله الى المستشفى ولما اشتدت عليه وطأة الداء انشأ هذه القطعة :

سجنت وقد اصبحت سلوتي	من السقم ، عدّي للأضلع
اعالج بالصبر برج السقام	ولكن عاجي لم ينجع
اتاني الطبيب ووليّ سدى	وراح الشفيع فلم يشفع
وكم قيل مدّمدى الاضطبار	ومهما عراك فلا تجزع
وكم ذا أمدّمدى الاضطبار	فان زدت في مدّه يُقطع
ولما بكى ساجني رحمة	اجابوا التشفع للأدمع
ولكنهم صادفوا عقدة	بأمريّ تعيي حجيّ الألمعي
حكومة لبنان قد راجعت	فرنسا لفكي فلم تسطع

وراحت فرنسا الى الانكليز تراجعهم جل من مرجع  
وقد راجع الانكليز العراق ولليوم بالامر لم يُصدع  
فقلت اعجبوا ايها السامعون ويا ايها الخلق قولوا معي  
امن قوتي صرت ام ضعفهم خطيراً على دول اربع ??

وعندما اطلق سراحه علم ان الافراج عنه كان بمساعي حكومة العراق في  
عهد معالي صالح جبر الذي كان وزيراً للداخلية ووكيلاً للخارجية كما علم ان  
الانكليز لم يراجعوا العراق بشأنه بتاتاً ولكن حكومة العراق هي التي ضغطت  
على الانكليز حتى اطلقوا سراحه فلها منه الشكر والعذر .

## سير على كل حال !

اليوم رُخصت بالصعود الى - السطح وعودي للسجن تسهيلاً  
الحمد لله فقد سعدت بان اسير عمقاً ان لم اسر طولا



## من البحر او «البحري» ؟



سجنت وكم في السجن مثلي من حر  
يقابلنا السجن بالنظر الشر  
واشرفت من سجن على البحر قائلاً  
من البحر يأتينا الخلاص او «البحري»<sup>١</sup>

*Hamad Khalifa*

---

(١) يشير الناظم الى صديقه الاستاذ يونس بحري الذي كان ينعش آمال القوميين العرب بإذاعته من برلين.

## القبر مشحون !

لقد حاول السجانون وضع الناظم في غرفة ضيقة مزدحمة هي قفص حقيقي على سطح ادارة الأمن العام الأفرنسية ولكن لحسن الحظ كانت الغرفة مزدحمة بالمساجين فلم يكن له متسع فيها فاضطروا الى وضعه في غرفة اخف منها بـلاء واقل سكاناً فقال :

راموا دخولي بسجنٍ كان يخنفني      فعاقني عنه رهط فيه مسجون  
كانوا يريدون لي دفناً فانهذني      من محنة الدفن أن القبر مشحون

Hamad Khalifa

Hamad Khalifa

اما تاجٌ واما سجن ؟!

مجننت وقبلي في العلي سجنوا اخي      وآمل في العليا ان يسجنوا الابنا  
اذا لم نورث تاج مجد وسؤدد      لابنائنا طرا نورثهم سجننا

---

(١) يشير الناظم الى سجن اخيه المرحوم السيد محمد رضا الصافي في ثورة العراق الاولى سنة ١٩١٩ تلك الثورة التي انتهت بتتويج فيصل الاول ملكاً على العراق ، وقد فر الناظم آنذاك مع صديقه المرحوم معالي سعد صالح رئيس حزب الأحرار حتى بلغا حدود ايران فاتجه المرحوم سعد صالح الى العمارة ومنها ذهب الى الكويت ثم عاد الى العراق اما الناظم فقد ذهب الى ايران واقام في طهران مدة ثماني سنوات وبعد وصوله الى طهران علم باعتقال السلطات الانكليزية لأخيه وبعد ان قضى اخوه في السجن خمسة اشهر وقد وضع الانكليز المشنقة امامه تهديداً له لانه جعل بيته مركزاً لمؤامرات الثورة اطلقوا سراحه وقد نظم خمسة ابيات في السجن يخاطب بها احد الزعماء وقد زاره فيه وبعد خروجه ارسل الابيات الخمسة الى اخيه ناظم هذا الديوان وطلب منه تخميسها فخمسها في حينها واعادها اليه فنشرها في مجلة لغة العرب للمرحوم العلامة انتاس الكرملي وها هو الاصل والتخميس .

## العزم والياس

اننا في سوى العلي ما رغبنا      فملاً الكون رهبة ان غضبنا  
ما جزعنا للسجن يوم غلبنا      ان من رام مثماً قد طلبنا  
لا يبالي ان سيق للسجن سوقا  
نحن قوم عن العلي ما قصرنا      حيثما دار كوكب العز دورنا  
واذا جار حادث الدهر جرنا      ونخصت عندنا النفوس فثرنا  
نطلب العز والعلي لا لنبقى  
قد خلقنا دون الوري احرارا      وامتلكنا التيجان والامصارا  
وجعلنا لنا المعالي شعارا      ولقد سامنا العدو احتقارا  
فرآنا نستسبق الموت سيقا  
ان ذلي موتي وعزي حياتي      ما انثنت للعدو يوماً قناتي  
انا فرع من دوحة المكرمات      انا من اسرة كرام أباة  
لا يرون الحياة في الذل ابقي  
انا لما أسرت لم أبد ضعفا      لا ولم أرج من عدوي عظفا  
ولقد قلت والردى بي حفاً      شرع ان يكون موتي حتفاً  
او اراني يكون موتي شقفاً



## سجن وانتظار!

سجنوني شهراً بإقبح دار      جمعت جحفلًا من الاكدار  
ثم قالوا هذا محل انتظار      ليس سجنًا، فالسجن في غير دار  
قلت الانتظار سجن، فسجني      يا لبؤسي مضاعف بانتظار

## اثاث السجن!

رمونا كالبضائع في سجون      وعافونا ولم يُبدوا اكتر اثا  
رمونا في السجون بلا اثاث      فاصبحنا لسجنهم اثا

## الظلام المنير!

ارى السجن مهما اسود أفقاً كمنجم  
حوى من بديع الماس بجلى النواظر  
بكى صاحبي من ليل سجنٍ وسرتني  
بداجي ظلام السجن لمع الجواهر

## العلاج بالكِي !



حسبت اطول السجن اني في قبر      فان يخرجوني منه آمنت بالحشر  
فكم وعدوني بالخروج ولم تزل      عيوني مع الموتى الى موعد النشر  
من العمر لا يحسن ايام محبسي      وان كان منها اليوم اطول من عمر  
اموت واحيا في يد الموت والرجا      فاخرج من قبر وادخل في قبر  
يجدد لي الآمال حارس محبسي  
فيوقظ لي الآلام من حيث لا يدري  
وكم قال لي صبراً على السجن ضيقاً  
وكيف اضطبار الجالس على الحجر  
من اليأس داوى الناس بالكِي داءهم  
كذاك يداويني ذوو السجن بالصبر

## سجين و طليق !



قلل السقم من مسافة سيري      واتى السجن لي فصارت اقلا  
غير اني وان سجنك ففكري      سائح في الوجود والنفس جذلي  
واذا شئت سمعت في النفس دهرأ      طائفاً ثم عالمأ مستقلا  
ان يفتني كونٌ فلي من خيالي      الف كون يسوعلى الكون فضلا  
لا تضيق السجون بالفكر رحبا      والفضا ضيق بمن ضاق عقلا  
ان كل الاغلال في يد حر      لا تساوي في موائق الفكر غلا

فكري الحر اودع السجن جسمي

واعتزازي قد كلف النفس ذلا

## فندق السجن !



سجنت وطال بي سجنى وكم من  
كانى رب نزل صرت القى  
اودع فى الضحى اهلاً كراماً  
واضحى الرفق بالسجناء دأبى  
فيا ضيف السجون كرمت ضيفاً  
وكم يوم نسيت السجن فيه  
طلبت مسلياً منه لهي  
ويوم كنت مسروراً بسجنى  
اتانى مشفقاً فبكى لما بى  
بربك لا تذكرنى جروحي  
الفت السجن حتى صار بيتى  
كطير عاش فى الاقفاص وغداً  
ويوم كنت فى سجنى وحيداً  
فقلت بحمد ربي صرت وحدي

سجين جاءني يوماً وولى  
من السجناء اصحاباً واهلاً  
وادعو فى المساء اهلاً وسهلاً  
وتسليتي لهم همماً وشغلاً  
ويا نزل السجون قبحت نزلاً  
فذكرني به ضيف أطلاً  
فلم انا ان رأى همى تسلى  
ارى السجناء فيه اخاً وخلاً  
فابكأت فرحت اقول مهلاً  
فذكر الداء ينكس من أملاً  
وصارت بالخطوب النفس جذلى  
فلا تذكر له روضاً وظلاً  
فلم احمل من السجناء ثقلأ  
اعيش ولو بسجنى ، مستقلاً



## الجرم الشريف !



حبست وضاق الحبس بي حين زج بي  
الى غرفة ظلماء محكمة السد  
فقلت علام الحبس لا انا سارق ولا آثم عمداً ولا دون ما عمد  
فجاء دنيّ باع عز بلاده ليشتري النزر الخسيس من الرفد  
اتى لابسات تحت السواد من الدجى سواداً على قلب، سواداً على جلد  
جرى مسرعاً ينساب نحوي مباحثاً  
كصل بدا من فوهة الحجر الصلد  
وراح يصب السم من فيه ناقعاً على أذن تستقبل السم كالشهد  
مضى شارحاً ذنبي ، اذا الذنب انني  
خدمت بلادي ، قلت وبجك من وغد  
فانك قد البستني تاج سودد وملكتني عرش الفخار بلا قصد  
فيا لك من نذل كريم تجود لي  
بتاج العلي يزهو ، وقد عشت تستجدي  
ولما رأيت الذنب خدمة موطني حلا السجن حتى خلته جنة الخلد

## اعلان الحرب !



نخست انكلموا والله	- اعمى مقلتيها
قبرها في كل ارض	حفرت به يديها
سجنتني دون ذنب	غير لعني ابوها
أمنت حريري، وسجني	يعلن الحرب عليها

*Hamad Khalifa*

## موت المعتدي !



ولقد سجنيت بكف أجبن امة      بالرجل تركض للمهات وباليد  
ما رمت من سجنى الخروج مسارعاً  
الا لانظر كيف موت المعتدي



غرنا بالسراب شر دعاة      حين قالوا ، الانكليز عدول  
قلت ليت المغول ترجع يوماً      لتروى ما جنته هذي المغول !



يصول الانكليز على ضعيف      ولا يبدون للخصم العنيف  
هم المكروب في جسم البرايا      يفتش كي يحط على ضعيف

على ان لا يقال له سجن !



سجنت بقصر يشبه الخلد، دونه مناظر جاءت حسبما يشتهي الفن  
فأكل وشرب وارتخاء وكل ذا جميل على ان لا يقال له ، سجن

الآن طاب الشنق !



حبست ولم اعلم بذنبي فما اصبحت  
لي الارض في ضيق وضاق بي الافق  
ولما علمت الذنب خدعة موطني  
حلا السجن في عيني وطاب لي الشنق



## العقاب الضعيف !

حُبست فقص الحبس مني قوادماً      واجنحة كانت ترف رفيفاً  
وأثقل حبسي كاهلي فكأنني      تحملت طوداً للسماء منيفاً  
ولما علمت الجرم خدمة موطني      رأى كاهلي حمل الجبال خفيفاً  
وقلت عقاب الحبس دون جريمتي      فجرمي يرى هذا العقاب طفيفاً  
وقد ساء في ضعف العقاب لاني      تخيلت ان الذنب كان ضعيفاً

Hamad Khalifa

## موسى وفرعون !

قد ضاق بي السجن لما جئته وبدت لي المتاعب اشكالا والوانا  
ومرّ عهد فصار السجن لي وطناً ارى به من ولاة السجن اخوانا  
وجاء وقت فأولوني مقالده اذا السجن بأمرى كان من كانا  
فقلت لله دهري في تصرفه قد طال سجنى حتى صرت سجانا  
انا سجين وسجان فتشهد بي عيسى وموسى وفرعوناً وهامانا

Hamad Khalifa

## قاعدة السجن !

خلا السجن هذا اليوم من كل ساكن

سوايَ كَأني منه أسَّ بناء

فجاء غلام السجن يبدي تعجباً      ويبغي من السجن كشف بلائي

وقال له كل المساجين مُرَّحوا      فقيم نرى هذا رهين ثوا

فقال له السجن هذا الذي ترى      ابونا ، فأورى شعله بدمائي

فقلت على رغم المروءة والعلی      اكون ابا السجن والسُّجناء

## غرفة ام صندوق !



اقت في السجن ويا	بئس السجون من مقر
في غرفة واطئة	تحب في الضيف القصر
يسير فيها راكعاً	كل امرء فيها خطر
فهي لأقزام بني -	الحيوان لا بني البشر
يمشي على اربعة	اذا بها الطويل مرّ
كان من يدخلها	يندس في جوف الحفر
ومن بدا منها تخا -	له من القبر ظهر
كأنها السقف لضم -	ارضها قد انحدر
فسقفها والارض شطران -	تعالى من شطر
وسقفها غطاء من	نام وتاج من عبر
ينام سقفها على	من نام فيها واستقر
فسقفها الكابوس فو -	ق الصدر او طود حجر



تضايق الجالس فيها - ان تظي او زفر  
ان شجر الضيف بها - تخال سقفا انفجر  
فهي كصندوق بضا - عة ونحن المدخر  
ضيقة ضاق بها - الفكر كما ضاق النظر  
وجار ضب هذه - ام قبر جن محتفر  
كم رمت منها ان أفر - وهل من القبر مفر  
فهي سواء والردى - وزودها بلا صدر  
دار انتحار هذه - كم اميل فيها انتحار  
قد مر لي شهر بها - كان من الموت أمر  
و « شنتي »<sup>١</sup> تنظر لي - تسألني متى السفر  
تشكو الي ، مثما - اشكو انا لها الضجر  
ليس الغبار فوقها - من سفر بل من حضر  
قد جلست في جانب - الباب جلوس المنتظر

---

(١) الحقيبة

مَسْجُونَةٌ مِثْلِي وَلَا	ذَنْبٌ سِوَى ذَنْبِ الْقَدَرِ
قَدْ سَلَبُوا جَوَازَهَا	مِنْهَا فَمَالَهَا مَهْرٌ
طَوَّلَ النَّهَارَ لَا تَزَا -	لَ نَتَبَادَلُ النَّظَرَ
إِخْلَاهَا تَبْكِي وَإِنْ	لَمْ أَرِ دَمْعَهَا أَنْهَرِ
تَبْكِي بَعِينَ حَالَهَا	وَدَمْعَهَا قَدْ اسْتَوَرَ
كَادَتْ مِنَ الْغَبَارِ أَنْ	تَفْقِدَ عَيْنَاهَا الْبَصَرَ
رَمَتْ صَوَالِجَ الْقَدَرِ	بِنَا كَأَنَّا أَكْرَ
فَهَلْ تَعِيدُ قَدْ فَنَا	إِلَى أَمَاكِنِ أُخْرَ
تَجِدُّدَ اللَّعِبِ فَتَوَ -	مِينَا وَلَوْ إِلَى سَفَرِ

## نصف مسلم !

احارب جنس الانكليز لانني وقفت على نصر الحقيقة مخذمي  
احاربهم حربي لكل رذيلة الى كل شيطان ، الى كل أرقم  
اخاف اذا ماتوا ، تموت ابالس فابقي بلا لعني لهم ، نصف مسلم !  
تحاربهم روحي وكفي ومنطقي وان هم نورا قتلي يحاربهم دمي

## يعشن يتامى !

وما كنت اخشى ان يفاجئني الردى  
فاني حمام لا اخاف حماما  
ولكنني اخشى اذا « الطبع » لم يُعل  
يتيمات اشعاري يعشن يتامى

ولما اشرف الناظم من شدة المرض على الخطر نقل الى مستشفى سان جورج  
حيث رأى من العناية به ما يذكره دائماً بالشكر وكان يبذل الشرطي المكلف  
بجراسته في كل ست ساعات بحارس جديد فقال يصف الرقابة عليه في المستشفى:

## لا سلام ولا كلام!

ادخلني السجن في مصح	جميع اربابه كرام
لكنني قد منعت فيه	من ان يحببني الانام
يشير طرفي لمن يحبي	ان لا سلام ولا كلام
ولا التفات ولا انعطاف	ولا لحاظ ولا ابتسام
منبوذ قوم الهنود احكي	تقربي لاورى حرام
أقيم في الباب لي «بليلس»	كي لا يوى مئي انزام
لحظه كلها سباب	ووجهه كله خصام
ملازم لي بلا وداد	كأنه دائي العقام
فقلت ما ذاك لي مصح	هذا هو السجن والسلام

## اعلان على بابي !



السجن امريض لي جسمي فصيرني  
نسيت سجنني وبلواه فذكرني  
اضحى بوجه لي الانظار عابرة  
واصبحت نظرات الناس تشهد لي  
يرنون لي بعيون ملؤها هلع  
وان نظرت اليهم هرولوا فزعاً  
الى مصحّ يداوي روح اوصابي  
به على الباب شرطي كبواب  
كأنما هو اعلان على بابي  
أني سجين فتشجيني على ما بي  
كأنني رب اجرام وإرهاب  
كأنما انا ليث ، محبسي غابي



## المضايقة !

نقلت من السجون الى مصح      كذار الخلد ذي مرأى بهيج  
ولكن أوثقوا في الباب كلباً      يضايق في الدخول وفي الخروج

## لا صدق ولا صديق !

فارق انكلترا طلائها      حتى بدا وجهها الحقيقي  
للهند قد أمنت طريقاً      فدته بالصدق والصديق  
فطارت الهند من وراها      وهي تحامي عن الطريق

## فرصة موت !

دنا من الانكليز موتهم      فحرروا أنفسهم اذلوها  
لكي تقيهم حرباً مسعرة      اطار احلامهم تلظيها  
صاحوا بكل المستعمرين أنت      ساعة تحريركم فحيوها  
وراح يدعو لسان حالهم      فرصة موت ! فلا تضيعوها

## بجلاء كرام !



حرّر الانكليز مستعمرات      حين باتت على شفا الاخطار  
كلما فرّ من يد الطفل طير      قال اطلقت له لوجه الباري  
منحونا حرية حين مُدّت      نحو اعناقهم يد الجزار  
بجلاء ما دام فيهم حياة      كرماء في حالة الاحتضار

## حتى في الموت !



مات من التهمة جاز لنا      وساقه الحرس الى حتفه  
مثل في البطنة انكثروا      اذ مات واللحمة في كفه

## المنبر الخالد !



سجنوني دونما ذنب سوى .. انني سامي المنى حر عزيز  
لا يضير السجن مثلي ان يكن .. موطني يصبح في حرز حر يز  
ولئن أُشئق تكن مشنقي .. منبراً يعلن رجم الانكليز

## ملحمة السجن

أو

## الواح واشباح !

•

أرى في غربة الانسان سجيناً	فكيف بسجن انسان غريب
يزور رهين سجن اهل قربي	ولكني السجين بلا قريب
أبشّر عند فتح الباب نفسي	بان ستفوز بالفتح القريب <sup>١</sup>
فمن لي ان أرى يأساً مريحاً	يخلصني من الامل الكذوب
سأقتل جي آمل سريعا	وارجع منه ذاسيف خضيب
فان لحادع الآمال عقي	تزيد مرارة القلب الكئيب
وان لو امع الآمال آل	يزيد المحل في القفر الجديب

---

(١) ليس هنا تكرار للقافية فان الاولى بمعنى قرابة الرحم والثانية مقابل البعيد.

سجسكني وقمار اليأس كيلا	اراني لعبة الامل اللعوب
واغضي عن سنا الآمال طرفي	وادخل ظلمة اليأس الرهيب
فان اشعة الآمال تحكي	نصلاً واخزات للقلوب
تقطب لي السما بالسحب وجهاً	كان لم يكف دنياها قطوبي
وتبسم لي البروق بها وكم لي	بسحب النفس من برق خلوب
سحائب بارقات بالاماني	ولكن باخلات بالسكوب
تسامرني همومي في الدياجي	ويطربني فؤادي بالوجيب
فكم في السجن من ليل غضوب	وكم في السجن من يوم عصيب
وزاد علي ضيق السجن أني	حُرمت به من الحل الاويب
فادعوا الله تعجلاً بفك	لسجني او بسجن فتى لبيب
تمنيت الزيارة من قريب	وان تك زورة الاجل القريب

## خدام السجن !



وخدام قساة اغبياء	ضعاف العقل اموات القلوب
اشاهد منهم الاطماع حولي	تدور تكاد تأكل لي جيوبي
كأنني ساحكن قبرا أغذي	به الحشرات من شتى الضروب
كأن عيونهم حشرات نمش	طلعن عليّ من خال الثقوب



## الجواسيس !

افتش لا أرى حولي حبيبا  
اجيل بهم عيون اخي وثوق  
هم الخلائ لي لا عن وداد  
نفوس قد ربن على عيوب  
ومن ينمى الى عيب تحرى  
وكم قد غرني مرأى نجيب  
فما في بوقهم الا عماء  
سأبعد عنهم الآمال حتى  
وكم شاهدت حولي من رقيب  
فألقي منهم نظر المريب  
هم الاعداء لي لا عن ذنوب  
فما يحسن بالامر المعيب  
عيوب الناس يبحث عن نسيب  
بهم فنكبت بالمرأى النجيب  
وما في سجبهم غير القطوب  
تجىء الي بالغدق السكوب

## ليل السجن !

نهارى من عبوس السجن ليل  
اذا مالت ذكاء الى غروب  
افتش في ظلامي عن رجاء  
وابحث فيه عن حدس مصيب  
الا يا ليل ليتك لم تسارع  
وليتك قد عثرت بلا مقيل  
وليتك اذ عثرت، عراك كسر  
تسارع في خطاك الى شوقاً  
وتلقني كل رحلك فوق صدري  
تجد السير منذ الصبح نحوي  
لبست من النهار الغض ثوباً  
وليلي الف ليل من كروني  
ارى نفسي تميل الى الغروب  
فادخل في ظلام من غيوب  
فاعثر منه بالسهم المصيب  
وليتك ضعت في اقصى الدروب  
وليتك قد دعوت بلا مجيب  
برجلك لم يصادف من طيب  
مسارعة الحب الى الحبيب  
وتجثم فوق قلبي كالخطوب  
فتهجم هجمة الاسد الغضوب  
لتخفى عن عيون المستريب

اراك وانت في لونين تبدو  
كانك حية وقطاء تزهو  
تبدل ثوبها في كل ليل  
الا يا ليل كم لك من شباب  
تشيب بشيبك الاكوان، لكن  
اقول بكل صبح سوف تفنى  
اذا بالقحم ينضب باشتعال  
ستبقى بعد ان تفنى شمس  
الا يا ليل كم لك من خطوب  
اتلبس مثل رهبان، مسوحا  
فكم وسعت ثيابك من افاعي  
وكم ضمت عقارب من وشاة  
وكم اخفت شروراً كالضواري  
فلو خلعوا ثيابك عنك ابدت

تسير من المغيب الى المغيب  
بثوب دجى وثوب ضحى قشيب  
لتجاول حسمها عند الحبيب  
وكم لك كل صبح من مشيب  
شبابك لا يعيد شباب شيب  
متى ابصرت فحملك في لهيب  
وما لمعين فحملك من نضوب  
الى ما شاء غلام الغيوب  
وكم لك في الجوانح من ندوب  
وقلبك قلب شيطان رهيب  
هموم مقلقات بالدبيب  
بالسنة لو ادغ للقلوب  
محددة الخالب والنيوب  
الينا كل انواع العيوب

يلوح إهابك الضافي ، ظلاماً  
فيالك شكل حيوان عجيب  
كان الليل جبار عظيم  
وما المكروب فيه سوى هوام  
وأجرام واحقاد تنزّي  
واحزان وأجرام ويبأس  
واشباح وارواح وجن  
أصيب بتلك الآفات لكن  
ايا فيلاً ، يمدّ بكل يوم  
فيشرب كل نور ثم يلقني  
اجبار الظلام لأنت عبد  
أرى حر النهار يخاف من ان  
تنام على سواعذك البرايا  
وتغمرهم باحلام كذاب

ويخفي شكل حيوان عجيب  
تضمن الف حيوان غريب  
أصيب بالف مكروب مهيب  
وآساد ووحش فلا وذيب  
واوهام ودمع نوى سكيب  
وذكري عاشق وكري سليب  
وبوم مفزععات بالنعيب  
صحيحاً عاش ذا عود صليب  
على الاكوان خرطوم الغروب  
مجاجاً للدجّة والخطوب  
وان اوتيت سلطان الشعوب  
يراك لذاك يسرع بالهروب  
فترضعهم بمسوم الحليب  
وتسقيهم من الرنق المشوب



تهدهدهم بصمتك وهو يحكي	زئيراً صكّ اسماع القلوب
وتطبق جفنتهم رعباً ليغفوا	متى قابلت بالوجه الغضوب
كأن الافق شدقك رحت منه	تكشر عن نجوم كالنيوب
مرّتي العالمين لأنّك باق	وكم خنقت اكفك من ربيب
الا يا ليل حسبك ليل سجنى	وحسبك عن كروبك لي كروبي
كرهت القبر بعد الموت سجنأ	وعفت اللبث في الوطن الحبيب
فما ارضى ولو في الحلد حبسا	ولو ما بين ازهار وطيب
ايحبس من يجرّم اي حبس	وكل مناه تحرير الشعوب
ايحبس شاعر حر رقيق	تضايقه النساء بالهبوب
يرى من جسمه سجنأ عليه	يكاد يهيم منه بالوثوب
رأيت السجن مجتمع الزايا	ولا كالسجن الرجل الأديب
وكيف يطبق ضيق السجن حرّ	يضيق به فضا الكون الرحيب



## رهين المحبسين !

رهينُ المحبسين ضنى وفقرٍ  
لئن أسجن فما الاقفاص الا  
الا يا بلبلاً سجنوك ظلماً  
كلانا من تألمه يغني  
لقد اصفى الحلي الى غنانا  
ولو اصفى لنغمتنا ملياً  
ويا ليت الشرى سجنوك مثلي  
لئن كشرت للهبجاء نابا  
كلانا صاحباً صمت مهيب  
أدبٌ على الثرى ضعفاً ولكن  
تراع حلومهم لصدى عظام  
اعبس للضى فيخيف قوماً  
فكيف بهم اذا سمعوا زئيري  
وأحبس : جلّ ذلك من نصيب  
لليث الغاب او للعندليب  
فنحت لفرقة الغصن الرطيب  
فننعش صاحب القلب الطروب  
ولم يسمع به نغم النجيب  
لذاب بذلك النغم المذيب  
لدن خافوا وثوبك او وثوبي  
فأقلامي تكشر للحروب  
كلانا صاحباً وجه رعوب  
ارى الجبناء يقلقهم دبيبي  
ضميلات تقضقض في جنوبي  
عبوسي ثم يشجبهم شحوبي  
وكيف اذا اكشر عن نيوي



وهذه ابيات قالها عند خروجه من السجن :

### إفراج كالسجن !

كنت أخشى في السجن إن تأت بشري  
بفكائي أصب لها بالجنون  
أطلقوني من بعد ما اعتدت سجنني فكأنني مجدداً سجنوني

### العقل كالجنون !

شكرت ولاة سجن أطلقوني وقلت هم ذوو خير ودين  
وعدت أصب فوق العقل غيظي لأن العقل أصبح كالجنون  
أطلق السجن 'يعد خيراً' ويُنسى شر أمساك السجن

### الحرية إدام !

من بعد سجن أربعين يوماً كأنهن سجن الف عام  
أصبحت أن أكلت خبزي حافاً جعلت من حريرتي ، إدامي

### الوفاء !

رجعت الى سجنني رجوعي الى قبوري  
وفاءً لذكرى البؤس فيه مدى شهر  
وقلت لعل الميت اذ يحشرونه  
يعود وفاءً بالعهود الى القبر





وزارة التعليم  
للتنشيط والطباعة والنشر  
بيروت - لبنان

صدر حديثاً :

١٥٠	الدكتور عمر فروخ	باكستان دولة ستمعيش
٤٠٠	بقلم حتي وجرجي وجبور	تاريخ العرب المطول (الاول)
٥٠٠	» » » »	» » » » (الثاني)
٦٠٠	» » » »	» » » » (الثالث)
٨٠٠	الدكتور صبحي محصاني	النظرية العامة للموجبات والعقود (الاول)
١٠٠٠	» » » »	» » » » (الثاني)
١٧٥	حسن الاعظمي	الوحدة في الشرق
٢٠٠	انطون غطاس كرم	الرمزية والادب العربي الحديث
٢٥٠	لبيب الرباشي	نفسية الرسول العربي
٠٥٠	حسن الاعظمي	درر الحكايات والفكاهات
٥٠٠	محمد عزة دروزة	تركيا الحديثة